لأن التاريخ لا ينسى..

دروس مهمة في ذكرى الاستقلال

■ كان من الواضح امام المحتلين ان الرحيل من عدن بات خياراً وحيداً يخلصهم من قبضة المقاومة الشعبية المتصاعدة والكفاح الوطني المسلح والمستميت في استنزاف قوات الاحتلال وتكبيدها المزيد من الخسائر والصدمات العنيفة.. وتحديداً منذ انتصار الثورة السبتمبرية في صنعاء واحتشاد ابناء المناطق اليمنية كافة في الدفاع عنها والتمكين لها.. عند ذلك سرت روح التحرر، وهي التي لم تهدأ أبداً طوال السنوات والعقود السابقة، في النفوس، وتداعى ابناء المناطق اليمنية كلها للاجتماع على فعل الثورة وتمديده ليشمل الجزء الذي بقي محتلاً من قبل المستعمر البريطاني.

ولم يكد يدور العام على ثورة سبتمبر في صنعاء حتى كانت الثورة تنفجر مقاومة شرسة وكفاحاً مسلحاً غير مسبوق في جبال ردفان ليعلن الثوار قيام ثورة ١٤ أكتوبر من رحم الثورة اليمنية الأم ٢٦ سبتمبر.

كتب/أمين الوائلي

■ المقاومة الوطنية وحدها عنوان الحرية وسبيل الشعوب إلى التحرر

■ بعد يوم واحد من إعلان الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ٦٧م كان أعداء الثورة وبقايا العهد البائد يطبقون على صنعاء في حصار استمر ٧٠ يوماً.. ما وراء التزامن؟!

في منتصف ٦٤م بعد مرور بضعة أشهر من الثورة تم نقل العمل الفدائي الى قلب مدينة عدن.. حيث قام الفدائيون بسلسلة من عمليات رمي بالقنابل على منازل الضباط الانجليز وانديتهم كما تم ضرب المطار العسكري بقذائف البازوكا، وتسببت هذه العمليات بقتل وجرح العشرات من الضباط والجنود البريطانيين.

ومع الأيام تفاقم المأزق الذي يحيط بالمحتل وقواتهم، في مقابل تصاعد وتيرة الكفاح المسلح والمقاومة الشعبية الهادرة.. حيث تحول العمل الفدائي منذ اواخر ٦٦م وبداية ٦٧م من ظروف العمل السري الى ظروف المواجهة اللاهبة والمجابهة المباشرة، تميزت معها العمليات العسكرية بالتحرك المكشوف والتمركز على سطوح المنازل وخوض معارك الشوارع ضد الدوريات وقوات المشاة، كما تميزت باستخدام اسلحة متطورة واساليب متقدمة.. قابل ذلك ان تحولت قوات الاحتلال من مواقع الهجوم الى مواقع الدفاع عن معسكراتها ومساكن عائلات الضباط في الاحياء الخاصة «خور مكسر، التواهي، المعلا، البريقة وكريتر».

توج الثوار عملياتهم البطولية في ٢٠ يونيو ٦٧م بالسيطرة على كريتر لأكثر من أسبوعين وكان ذلك نقطة تحول في الكفاح المسلح وتعبئة الجماهير لاسقاط المناطق والمدن الواحدة تلو الأخرى ليس من أيدي المحتلين فحسب، وانما ايضاً من ايدي السلاطين الذي نصبتهم قوات المستعمر على المدن والمحافظات في شكل سلطنات لها نوع من الاتحاد الفيدرالي الجامع تحت امرة المستعمر وادارته وتصرفه المطلق.

عجزت او فشلت قوات الاحتلال في استعادة كريتر من ايدي الثوار طوال فترة سيطرتهم عليها، مستخدمة اساليب عسكرية مختلفة وحاصرت المدينة ومنعت عنها المؤن والسلاح ولكن حصارها فشل تماماً، وأخيراً لجأت قوات المستعمر الى استقدام قوات الكوماندوز الخاصة لاستعادة المدينة.

منذ اندلاع الثورة في ردفان.. انطلقت شرارة التحرر والتحرير وتفجر الكفاح المسلح، وطيلة اربع سنوات كاملة ظل يقذف المستعمر بحممه ولهبه، الى أن انتهى بالنتيجة الموضوعية والطبيعية التي كان على المستعمر ان يسلم بها منذ البداية وهي الاستقلال في الثلاثين من نوفمبر ٦٧م.

الدرس المستفاد لا ينحصر في نتيجة واحدة يمكننا تقريرها او تلخيصها، لأن كفاح الشعوب وارادة الجماهير الحية ونضالات الأوطان لا يمكن اختزالها او اختصارها.

ولكن يمكننا الاشارة فحسب الى واحدة من دروس الثورة اليمنية والاستقلال.. وهي ان السبيل الأوحد للتحرر من نير المستعمرين والدخلاء ليست سوى المقاومة الوطنية والكفاح الشعبي والتصميم الجماهيري.. فأمام ارادة الشعب والجماهير تتضاءل القوى وتسقط اعتى الترسانات.. وهذا هو ما نتعلمه ويعلمه يوم الاستقلال ٣٠ نوفمبر.

حصار صنعاء.. عقب الاستقلال بيوم!

رأينا كيف استمد الفعل الثوري واحديته من واحدية اليمن ارضاً وانساناً، وكيف أذن سبتمبر بميلاد أكتوبر والاستقلال في نوفمبر.. ولكن ليس فقط الثوار والثورة جمعتهم الهوية والهوى الواحد ووحدتهم التربة والأرض.

أعداء الثورة الواحدة واليمن الواحد هم ايضاً حاولوا مراراً التربص بالثورة والثوار هنا وهناك وعلى أكثر من جبهة.

ما ان رحل المستعمر واحتفل اليمن بالاستقلال في ٣٠ نوفمبر ٦٧م، حتى كان اعداء الثورة اليمنية الواحدة يحشدون شرورهم واحلامهم المحطمة ويحاولون مجدداً محاصرة الثورة الأم في عاصمتها صنعاء.

عقب اعلان الاستقلال مباشرة، وفي اليوم التالي ١ ديسمبر ٦٧م كان بقايا ومرتزقة النظام الامامي البائد يطبقون على صنعاء في بداية حصار طويل وشاق استمر ٧٠ يوماً وانتهى باندحار اعداء الثورة وهزيمة المشروع الظلامي والى الأبد، صمدت صنعاء في وجه الحصار واعداء الوطن صموداً اسطورياً، وتقاطر اليمنيون من الجبهات والمناطق كلها لفك الحصار وسحق فلول ومرتزقة الكهنوت البائد.

■ نظام السلطنات وصيغة الفيدرالية جربها المستعمر في جزء من اليمن والنتيجة: الوهم لا ينبت هنا!

السياسي لم تنجح بتاتاً على الواقع اليمني، ولم تنبت لها حسنة واحدة على التربة اليمنية.

اثبتت التجربة العملية المريرة التي تجرعها المستعمر ان السلطنات والفيدرالية والصيغة الاتحادية انما عادت على الاحتلال بالفشل والوبال.

فهي محاولة بائسة لتمزيق الواحد ولم يكن لها ان تنجح في اليمن.

ومرحلة الكفاح المسلح حتى الاستقلال اثبتت لقوات الاستعمار البريطاني ان نظام السلطنات والامارات الفيدرالية لم تدفع عنه خطر الثوار ولا حمته من ارادة الشعب وثورة الجماهير.

وهنا درس ثالث يجدر تمعنه بعناية:

والدرس مرة اخرى يشير ويؤكد على واحدية المسار والمصير ووحدة الفعل الثوري..

معارك الثورة اليمنية كلها حملت طابع التوحد والتوحيد في مجابهة العدو والمستعمر وفلول النظام البائد هنا وهناك.

وانتصارات الثوار والثورة كانت تغيض العدو المشترك.. فما ان يتحقق نصر في احدى الجبهات حتى يتكالب العدو في الجبهة المقابلة لازهاق النصر وتعكير اجواء الفرحة والبشارة.

لكن الحسم دائماً كان بيد اصحاب الحق.. بيد الشعب، فانتصرت الثورة لأنها ارادة الشعب ويده.. ولأن الحق قوة بيد اصحابه يهزمون به قوى الظلام والظلم والاستبداد.

«السلطنات.. الفيدرالية» صيغة الوهم

حاول المستعمر البريطاني ان يلعب على طريقته المعهودة «فرق تسد» ولبعض الوقت بدا له ولأعوانه ان هذه الطريقة قد نجحت في تمزيق واحد الجسد اليمني وبالتالي توهم قدرته على مواصلة اللعب على ذات القاعدة.

عمد الاحتلال الى تفريخ اقطاعيات تابعة له تدور في فلكه، تحت مسمى السلطنات الخاضعة لحكمه وارادته.. وقام بتنصيب امراء وسلاطين على رأس تلك السلطنات في المدن والمحافظات الخاضعة لسلطة الاحتلال في جزء من الأرض اليمنية.

جرب الاحتلال صيغة الفيدرالية على تلك السلطنات التي اجتمعت رسمياً في اتحاد فضفاض «اتحاد الجنوب العربي».

تلك الصيغة من التلفيق فالأصوات التي تتعلق بخيوط الوهم او صيغة الفيدرالية لن تجد بداً من الاعتراف بالوهم الكبير الذي تسلم نفسها له طواعية.. وعليها هنا مراجعة الدرس الذي تكبده المستعمر حتى تدرك كم هي مضطرة الى استعادة لعبة المستعمر وتجربته مع الفيدرالية لاستعادة نفس الخيبات والحصيلة المرّة التي خرج بها.

نوفمبر ٨٩م من الاستقلال الى الوحدة

مرة اخرى.. كان نوفمبر، والموعد ذاته في الثلاثين منه عام ٨٩م على موعد آخر مع انتصار يمني جديد وانجاز تاريخي آخر، يأتي من رحم الثورة والاستقلال والكفاح واهداف الثوار واحلام الشعب الواحد.

في عدن وفي ٣٠ نوفمبر ٨٩م كان التوقيع على اتفاقية دولة الوحدة التي دخلت حيز الفعل والحياة في ٢٢ مايو ٩٠م.

ومنذ ذلك الحين والى ان يرث الله الأرض ومن عليها، تتواصل انجازات اليمن الواحد، ويجدّد اليمن الدرس ذاته: الحق أحق ان يدوم ويعز، والتاريخ على امتداده سوف يسجل قدماً صعود الواحد وارتقاءه سلم المجد باقتدار.

استخدمهم «هينز» كجواسيس.. عقب احتلال عدن

اليهود.. عيون الشيطان

■ عقب احتلال عدن في ١٨٣٩/١/٩م، اصبح «هينز» اول مقيم سياسي بريطاني في عدن.. وفي حين انصرف الى ادارة المدينة وشئونها، كان قائد الحامية البريطانية في عدن يركز على اعداد الترتيبات اللازمة لمواجهة اي هجوم مضاد من القبائل اليمنية المجاورة لعدن.

ولبرهة من الزمن تصور «هينز» ان الامور في المدينة استتبت له وان السكان في هدوء مطمئن، غير انه تفاجأ سريعاً بعكس ما توقع او تمنى.. وكان البريطانيون يخشون من تسرب الثوار الى صفوف السكان، وتخشى الحكومة البريطانية ورجال السلك العسكري البريطانيين في بومباي من مغبة حدوث ذلك.

على أن «هينز» كانت تصله باستمرار -خاصة بعد مضي خمس سنوات من الاحتلال- انباء تحركات القبائل اليمنية في المنطقة المحيطة بعدن عن طريق بعض الرجال الذين والوا الادارة الاستعمارية، وبصورة اساسية كانت الاخبار تصله عن طريق اليهود المقيمين في عدن نفسها او الذين يعيشون منهم في المناطق المجاورة.

كان بعض اليهود يعملون لدى شيوخ بعض القبائل ويشرفون على شئونهم المالية وحساباتهم الأمر الذي كان يمكنهم من معرفة نوايا وخطط هؤلاء الشيوخ وتحركاتهم عن كثب وقرب.

وفي تقاريره التي كان يرسلها الى الحكومة في بومباي ذكر «هينز» عدة مرات الفوائد والمعلومات المهمة التي تصله من جواسيس يهود.

وعن طريق هؤلاء ايضاً كان «هينز» يعلم الأنباء المتعلقة بتحركات عيون القبائل داخل مدينة عدن والجهات والاشخاص الذين يمدونهم بالمعلومات المختلفة عن القوات البريطانية المحتلة.

بهذه الصورة.. كان اليهود جواسيس الاحتلال البريطاني على الشعب اليمني، وكانوا يراقبون الاحداث بدقة، واستطاع «هينز» استخدامهم بواسطة اثنين من اليهود يقيمان في عدن «هما «منهاكن وشومياديل» كانت الرسائل تصل اليهما وهي مكتوبة باللغة العبرية التي لا يعرفها العرب والتي كانت بالنسبة لهم أشبه بالشفرة.

وعندما سألت حكومة بومباي هينز عن الطريقة التي يحصل بها على معلومات عن القبائل المجاورة لعدن، فقد ذكر لهم انها كانت ترد اليه «عن طريق اليهود».

جدير بالذكر ان احد المبشرين اليهود ويدعى «صاموئيل» وصل الى عدن سنة ١٨٤٠م وعرض على هينز ان يدعو يهود اليمن للتجمع في عدن للعمل في خدمة الحكومة البريطانية التي كان عليها ان توفر لهم الاجر وخلافه، غير أن هينز رفض المشروع حينذاك، وظل هينز يستخدمهم كجواسيس وعيون.. ومرة اخرى عاد «صاموئيل» نفسه ليعرض على هينز مشروع اقامة مدرسة لأبناء اليهود في المدينة فرفض.

«هينز» من عدن إلى السجن فالقبر!!

■ اعتماداً على سياسة حكومته البريطانية «فرّق تسد» ولكي يحقق هذه السياسة الاستعمارية، اضطر «هينز» المقيم البريطاني الى انفاق مبالغ طائلة من اموال شركة الهند الشرقية البريطانية على القبائل اليمنية المجاورة لعدن مشجعاً اياها على التقاتل فيما بينها لكي تخور قواها في النهاية، وبذلك يتمكن البريطانيون من السيطرة على مقدراتهم.

غير ان النتيجة وخاتمة المطاف كانت وخيمة على هينز نفسه وغرماً عليه.. اذ ان شركة الهند الشرقية قدمته للمحاكمة بتهمة اختلاس وتبديد اموالها بعد ان حكم عدن خمسة عشر عاماً في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٣٩-١٨٥٤م وأودعته السجن، حيث ظل سجيناً ست سنوات وتوفي بعد ايام قلائل من اطلاق سراحه في سنة ١٨٦٠م.

انها نهاية بائسة ولابد.. ولكنه حصد وبال امره بعدما احتل عدن.. وحكمها.. خرج منها الى السجن.. ومنه الى القبر.